من خصائص اللسان العربي (اللغة-المصطلح-المنهج)

إعداد وتقديم :المدرس الدكتور(حسن محمد كاظم)

Hassan Muhammad

Hassan.m@science.uoqasim.edu.iq

الكلمات المفتاحية :

(خصائص – لسان – أسلوب – الثابت – المتحول)

key words :

(characteristics - tongue - style - fixed - mutable)

ملخص البحث :

يتلخص بحثي الموسوم بعنوان : (من خصائص اللسان العربي) ومقدمة تتضمن خطة البحث وتقسيم مفردات البحث وتحديد المشكلة من البحث وأهم المصادر الرئيسة فيه وكان المتن يتلخص بثلاث مباحث الأول القيام بدراسة اللغة ببنيتها المعجمية والنحوية من خلال دراسة أهم المعاجم العربية المختصة بلسان العرب ومفردات القرآن الكريم والتأكيد على فصاحة العرب وبلاغتهم وتناولت بعض المصطلحات مثل العدول والانزياح والثابت والمتحول في مبحث منفرد أسميته المصطلح وتناولت في المبحث الثالث المنهج وقمت بدراسة المنهج الوصفي (التزامني) (والمنهج التاريخي) الزمني وبيان إعجاز القرآن من خلال البحث عن اركان وخصائص اللسان العربي المبين والثابت المحفوظ في الذاكرة العربية وختمت موضوعي بما توصلت اليه بعد الاعتماد على المعاجم والمصادر المهمة التي بان ذكرها في قائمة المصادر .

ملخص : باللغة الإنكليزية

I dealt with in my research entitled: One of the pillars of the Arabic tongue / The tongue is an identity
(Applied study) that includes the pillars of the clear Arabic tongue (lexical structure, grammatical structure, tongue identity, transgression and displacement, historical method and descriptive method)
I searched for Western linguistic theories and their application in the study of the Arabic tongue and its dangerous phenomena, because each tongue has a specificity that distinguishes it from others and the presence of common aspects between tongues, such as Gomsky's theory, for example, in generative grammar, as well as Dusaucer's studies in language and some theories such as poetry, structuralism, semiology, reading and receiving and others.
I reviewed the most important issues in authorship and criticism, the preference of one poet over another, and their connection to linguistic ability and eloquence.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

من خصائص اللسان العربي (اللغة-المصطلح-المنهج)

م.د.حسن محمد كاظم

أما بعد : تناولت في بحثي الوسوم بعنوان : (من خصائص اللسان العربي) أهم الخصائص الرئيسة وجعلتها في ثلاث مباحث وكان المبث الأول بعنوان (اللغة) وقمت بدراسة البنية المعجمية من خلال البحث في المعاجم وخاصة معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي ومعجم (لسان العرب) لإبن منظور وتناولت بالدراسة البنية النحوية وتأصيل النحو وأهمية الاعراب في بيان معاني الكلمات , وكان المبحث الثاني يحمل عنوان (المصطلح) ودرست بعض المصطلحات مثل (العدول والانزياح) و(الثابت والمتحول) عند أدونيس ودي سوسور وانتقلت الى المبحث الثالث وكان بعنوان : (المنهج) وقمت بالبحث عن النهج الوصفي 0التزامني) والمنهج (التاريخي) الزمني والفرق بينهما وأثرهما في الكتابة عن اللسان العربي المبين في الفصاحة والبلاغة التي يتمتع بها العرب ونزول القرآن الثابت والمبين والجميل وختمت موضوعي بأهم ما توصلت له من نتائج مع قائمة من المصادر المهمة التي اعتمت عليها في بحثي ومن الله التوفيق .

المبحث الأول : اللغة

البنية المعجمية :

من خصائص اللسان العربي المبين في دراسة اللغة معرفة البنية العجمية والنحوية ويقصد بالمعجم تلك الكتب التي حفظت لنا ألفاظ كلام العرب , وأول معجم منهجي وصل إلينا هو (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي ([1]) وتوالت بعده التاليف المعجمي وبمناهج متعددة ([2])

لقد حاول المعجميون العرب تدوين الألفاظ التي إستخدمتها العرب في كلامها لذا حرص أغلبهم على أن لايدخل معجمه الا الألفاظ العربية , فالأزهري في مقدمة معجمه يقول : (ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب الا ماصح لي سماعا منهم أو رواية عن نقل أو حكاية عن خط ذي معرفة ثابتة إقترنت إليها معرفتي ... ولو إني أودعت كتابي وما حوته دفاتري وقرأته في كتب غيري ووجدته في الصحف التي كتبها الوراقون وأفسدها المصحفون لطال كتابي , ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها , ولقليل خير من كثير يفضحه ()[3]

والجوهري سمى معجمه (الصحاح) ليودع صحيح ألفاظ العرب ( )[4]وقد ظن الخليل ومن بعده أنهم إستوعبوا كلام العرب الواضح والغريب إلا أنه لم يسلم من قدح من تلاه وقد رموه بالتصحيف والإستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين واهمال أبنية مستعمله في اللسان وأخطاء صرفية إشتقاقية وانفراد بكثير من الألفاظ غير المسموعة والتصحيف وعدم إستيفاء صيغ بعض المواد ولا معانيها المتعددة ([5])

ولضخامة المعاجم من حيث المواد ومعانيها وهذا العمل لايمكن أن يحيط به إنسان فرد لذلك يلجأ المعجميون الى الجمع بين كتب عدة منها معاجم ألفاظ , وأخرى قد تكون كتب حديث أو تفسير أو دواوين شعر . وللمعاجم العربية محاسن ومساوىء فمن محاسنه ان يجمع لنا ما استجد من معاني سياقات أسماء اللسان العربي بحشد الشواهد لها ولذلك سيكون المعجم مادة دسمة للدراسات الصوتية التاريخية وللدراسات اللهجية وتوزيعها الجغرافي ومدى سيادة لهجة على أخرى في زمن دون آخر واختلاطها بلسان العرب . ([6])

أما المساوىء الناتجة من ضخامة المعجم العربي فهي السماح للغريب والدخيل للتسلل الى المعجم وان حرص المعجميون على إبعادهما – وقد يعامل الدخيل والغريب وفاقاً لشيوعه معاملة العربي الفصيح فقد (خلط اللغويون في المادة اللغوية

---

[1] - ينظر آراء العلماء بشأن معجم العين فيالمزهر, المزهر , السيوطي 76/1 : 275 , وينظر : في نحو المعجم العربي, د . أحمد مطلوب , ضمن بحوث المعجمية العربية : 81

[2] -ينظر : المعجم العربي , د . حسين نصار : 91

[3] - تهذيب اللغة , الأزهري 1 / 40 .

[4] - ينظر : المزهر – السيوطي 97/1

[5] - ينظر: المزهر , السيوطي , 86-79/1 , وينظر : المعجم العربي , د. حسين نصار : 373-379 .

[6] - ينظر في اللهجات العربية , د. ابراهيم أنيس :55 , ولهجة تميم , د. غالب المطلبي : 33 .

التي جمعوها في أثناء جمعهم المعجم العربي بين ماهو فصيح (أي ماهو من اللغه العربية) وبين ماهو من اللهجات و فلا يتيسر للباحث استخراج مادة اللهجات من مادة المعجم إلا في حالة غزو اللغويين هذه المادة الى لهجات بعينها) ([7]) مما يسمح لقول من قال بالفائض اللفظي في لسان العرب ([8]) والعلة ليست في اللسان بل في الغريب عنه وقد يتشابه الأمر على قارىء المعجم فيظن أن ماجمع فيه أسماء اللسان العربي , وهذا ماحدا بأبن منظور الى تسمية معجمه (لسان العرب) .

ولو وازنا بين مواد اللسان العربي المبين (القرآن) من خلال (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) ومواد المعجمات الضخمة كلسان العرب أو تهذيب اللغة , أو تاج العروس , لتبين لنا البون الشاسع في عدد ونوع المواد المضافة الى لسان العرب , فلم يسلم هذه المواد شاهد من القرآن أو من الحديث بل تذكر معها شواهد شعرية بعضها منسوب وأخرى بلا نسب فعلا سبيل المثال و ورد في لسان العرب لإبن منظور في مادتي (صعفر) و(صعمر) :

اصعنفرت الابل : أجدت في سيرها أي تفرقت وأسرعت فراراً ... وأما عن مادة (صعمر) : (الصعمور : الدولاب كالعصمور) ([9])

وهناك أسباب تمنع العرب من إستخدام بعض الألفاظ نحو تقارب مخارج الحروف الذي يؤدي الى صعوبة النطق ولكن من جانب آخر فإن هذا السبب لايفسر عدم إستخدام الألفاظ التي لاتتقارب مخارج حروفها , فألفاظ تستخدم تقلباتها جميعاً نحو (باب العين والجيم والراء معها)([10]) وباب آخر لاتستعمل فيه الا صيغة واحدة نحو (باب العين والجيم والذال)([11]) , يستعمل (جذع) فقط , و (باب العين والكاف والباء معهما)([12])

المعنى المعجمي (متعدد ومحتمل , وهذا هو وجه الشبه من جهة بينه وبين المعنى الوظيفي للعناصر التحليلية ووجة الإختلاف من جهة اخرى بين هذين المعنيين وامعنى الدلالي للسياق ..

إن المعجم ينتفع بنتائج المستويات التحليلية ... وهو النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي وهي النظم المسؤولة عن تحديد المعنى الوظيفي أي إن المعنى المعجمي يستعين بالمعنى الوظيفي) ([13]) فاللفظة قبل دخولها في السياق يصفها المعجميون بأنها (مادة) على حين لاتوصف بهذا الوصف وهي في النص) وان تعدد معنى الكلمة المعجم يرجع الى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق وثبوت ذلك لها يسبق إستعمالها في نصوص عربية قديمة وحديثة , ومن صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق يأتي تعدد معناها وإحتماله في حالة الأفراد) ()[14]

فالأسماء (البنى المجردة للكلمات) حاول المعجمون العرب حصرها على هيئة مواد , أما الكلمات (البنية المحسوسة للاسماء)فحصرها وإحصاؤها يستحيل على الفرد لتعدد إستعمالاتها في القصد ومراتب البيان و فالله سبحانه يقول : (يحرفون الكلم عن مواضعه) ([15]) ولم يقل (الاسم) لأن الكلمة وظيفة الإسم في السياق وبأنحرافها ينحرف القصد ولذلك سمي القرآن (كلام الله)لا (أسماء الله) ([16]) نسبة الى قوة البيان الإلهي في إستعمال الأسماء لتكون كلاماً يقول : الخطابي (فأما المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها نتاج العقول وولائد الإفهام وبنات الأفكار و وأما رسوم الألفاظ فالحاجة الى

---

[7] - لهجة تميم , د . غالب المطلبي , 33

[8] -تكوين العقل العربي , د . محمد عابد الجابري , 75 .

[9]- لسان العرب , ابن منظور , مادة (صعمر) 4/ 458 .

[10] - العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي , 1/ 121 .

[11] - المصدر نفسه , 1/ 120 .

[12] - المصدر نفسه و 1/ 120 .

[13] -اللغة العربية معناها ومبناها , د. تمام حسان : 131

[14] - المصدر نفسة , : 324 .

[15] - سورة النساء , آية : 46 , والمائدة : 13 .

[16] - ينظر سياسة الشعر , أدونيس : 26 .

الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقول صورة له في النفس يتشكل بها البيان)([17]) فالمعاجم تبدأ بالثنائي وتترك الأسماء ذوات الحرف الواحد , كالفاء والواو والتاء والألف وغيرها , الى النحاة ليختصوا بمنحها معناها , وقد التفت علماء العربية الى هذا الجانب فقالوا : قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) فالأسماء كلها معلمة من عند الله وكذا الأفعال والحروف لعدم القائل بالفصل ولأن الأفعال والحروف أسماء لأن الإسم ماكان علامة , والتمييز من تصرف النحاة لامن اللغه لأن التكلم بالأسماء وحدها متعذرة) ([18])

أن رغبة المعجميين العرب بالإحاطة بالفاظ العربية ومعانيها كانت سبباً في ضم المعاجم بعضها للبعض الآخر للحصول على معجم موحد يضم كل ماقالته العرب ([19])

وهكذا سارت المعجمات العربية من اليسير مما تحصل لديها أو على طريق النماء والإتساع الى أن وصلت الى تأليف الموسوعات المعجمية التي تضم بين دفتيها كتباً متنوعة وتجددة الرغبة القديمة لدى المعجميين لجعل المعجمات القديمة فرعاً لأصل معجمي جديد .([20]) .

ودار جدل كبير حول عربية بعض الألفاظ القرآنية كالقسطاس والإستبرق والمشكاة وغيرها قال الجمهور : ليس في كتاب الله سبحانه شيء بغير لغة العرب لقوله تعالى : (إنا جعلناه قرآناً عربياً) ([21]) . وقواه تعالى : (بلسان عربي مبين)([22]) وإدعى ناس أن في القرآن ماليس بلغة العرب حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط) ([23]) فمن أجاز وقوع المعرب بإعتبار أصله وأن العرب قد عربته فأدخلته كلامها([24]) ومن قطع بعربية ألفاظ القرآن إحتج بآي الذكر الحكيم وقد ظن ظان أن الألفاظ ليست عربية لتداخل الألسنة وقد أنكر أبو عبيدة قول من إدعى أن في القرآن ليست عربية فقال : (ومن زعم ذلك فقد أكبر القول , قال : وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناها واحد وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها) ([25])

فالمعجم الذي يجب أن ينطلق من ألفاظ القرآن ويقاس به كلام العرب فمن بديهيات المنطق الانطلاق من القاعدة الى الفروع وقاعدتنا القرآن (لسان العرب المبين) فالقرآن أعجز العرب لقدرته الفائقه في جمع لسانهم الذي أعياهم حمله فما كان موجود بالقوة أصبح موجود بالفعل .

البنية النحوية للسان : لعل من نافلة القول بأن قواعد النحو العربي ماوضعت في البدء إلا لغاية تعليمية ([26]) فالنسبه الغالبة من أمثلة النحاة الأوائل كانت من صنعهم بدلاً من كلام العرب بغية تسهيلها لغير العرب ([27]) فلم يتوجه العرب لتدوين نحو لسانهم إلا بعد إختلاطه بالألسنة الأخرى . وفيما بعد نشأت لديهم دوافع كثيرة جعلتهم أكثر حرصاً على نحوهم منها دينية تتصل بفهم القرآن الكريم خشية اللحن به ودافع قومي للحفاظ على لسان العرب من العجمة ودوافع أخرى نمت فيما بعد بتأسيس مدرستين كبيرتين نحويتين هما البصره والكوفه [28])

لقد فعل علماء العربية في النحو كمثل فعلهم في المعجم حين وزعوه على مواد والماده هي بنية مجردة لما ينضوي تحتها من إشتقاقات والمادة تفتقر الى الشاهد أي اهملوا معناها وإنشغلوا بمعاني إشتقاقاتها كذلك في النحو فأن الباب إفتقر الى الشاهد

---

[17] - بيان إعجاز القرآن , الخطابي , ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القلرآن , 33 .
[18] - المزهر – السيوطي 1/ 17 و قد تنبه الجوهري في معجمه (الصحاح) فبدأ بالأسماء ألأحادي , يتظر : الصحاح : 11
[19] - تاج العروس من جواهر القاموس , د. هاشم طه شلاش (المعجمية العربية) : 237.
[20] - ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها , د . تمام حسان , 219 .
[21] - سورة الزخرف : 3 .
[22] - الشعراء : 195 .
[23] - المزهر , السيوطي 1/ 266 .
[24] - المصدر نفسه , 1/ 266 -268 .
[25] - المصدر نفسه و 1 م 266 .
[26] - الاصول , دراسة ابستمولوجية , د . تمام حسان , 27 .
[27] - ينظر أمثلة سيبويه في الكتاب , سيبويه : 56-59 .
[28] -الاصول دراسة أبستمولوجية د. تمام حسان : 21-27 .

واستشهدوا على فاعلية صاحب الباب في الكلام لأن (الحكم الذي يتوصل اليه النحو إذا جاء على أصله فلا يسأل عن علته ...

فلباب النحوي هو البنية المجردة للعلاقة المخصوصة بين الكلم لذ إفتقر الى الشاهد فباب (النعت) حاصل جمع أحوال النعت ومعانيه في السياق فما إستشهد عليه النحاة مظاهر النعت في السياقات ومعانيها ولم يستشهدوا ببنيته المجردة ([29]) والأبواب النحوية تدخل في علاقات فيما بينها لتحقيق وجودها المحسوس أومعانيها ولا تفقد هويتها بإنتسابها الى أبوابها , فاالفاعل والنعت والنواسخ ..ز حين تدخلفي علاقات مع بعضها البعض فان مظاهرها (معانيها النحوية) ستتنع مع تغير سياقاتها ولكنها تظل محتفضة بهويتها بإنتسابها الى أبوابها . ([30])

والتعليق في النظم يقصد به العلاقات التي ينشئها المتكلم بين الأبواب النحوية (ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سبب من تلك)([31]) فتتحول من بناها المجردة الى بنى محسوسة معبرة عن معنى المتكلم فللباب النحوي نواة معنوية لايفقد حين تتنوع مظاهر في السياق فمعرفة البنى المجردة والمحسوسة للعلاقات النحوية واجبة في النظم فتوضع القرائن النحوية ([32])

وتخللت كتب النحاة بعض القواعد التي أسست على الشاذ من كلام العرب ولسان العرب المبين بين أيديهم يقول : الرازي (إذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن أولى وكثير مانرى النحاة متحيرين في تقدير الألفاظ الواردة في القرآن فإذا إستشهدوا في تقريرها ببيت شعر مجهول فرحوا به وأنا شديد التعجب منهم فانهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت على وفقها دليل على صحتها فلأن جعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أولى)([33])

وفي ختام ماتقدم فالله سبحانه حفظ للعرب لسانهم في كتابه المجيد فمن السهل غربلة كتب النحو بقياسها بنحو لسان العرب (القرآن) وحصروا البنى النحوية المجردة (الابواب) وكذلك بناها المحسوسة بشواهد من آي القرآن الكريم ليستقيم للعرب نحوهم فتتكشف لنا عجمة كل عصر من عصور العرب ولة إعتمد غير القرآن في بناء النحو العربي فإن قارىء القرآن سوف يتحمل في فهمه لأنه حفظ قاعدة يريد قياس القرآن عليها والقرآن الكريم جاء على سنن العرب (لتكون حجة الله عليهم آكد , ولئلا يقولوا ك إنما عجزنا هن الإتيان بمثله لأنه بغير لغتنا وبغير السنن التي نستنها فأنزله جل ثناؤه بالحروف التي يعرفوها وتالسنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشعر)([34])

المبحث الثاني: المصطلح

العدول والنزياح :

استخدم البلاغيون العرب مصطلح (العدول) لوصف حالات صوتية وصرفية ونحوية للدلالة على تفضيل المتكلم لتركيب يظن إنه أكثر جمالية ودلالية من غيره مع إحتفاظه بشروط التواصل مع غيره أما نقاد الغرب المحدثون فقد جعلوا للكلام (درجة صفر) كما اصطلح عليه (رولان بارت)([35]) وحددوا جمالية الكلام على وفق إنزياحه على هذه الدرجه يقول عمدة هذا الإتجاة جان كوهن : (هناك خرق لقانون اللغه أي إنزياح لغوي يمكن أن ندعوه كما تدعوه البلاغة القديمة (صورة بلاغية) وهو وحده الذي يزود الشعرية بموضوعها الحقيقي) ([36])وبناء على ذلك يفرق جان كوهن بين الشعر والنثر فيقول :(يمكن أن نشخص الاسوب بخط مستقيم يمثل طرفاه قطبين القطب النثري الخالي من الانزياح والقطب الشعري الذي يصل

[29] - ينظر باب النعت في شرح بن عقيل على ألفية بن مالك 190/2

[30] -للغه العربية معناها ومبناها , د تمام حسان : 188 .

[31] -دلائل الإعجاز , عبد القاهر الجرجاني : 55 .

[32] - ينظر أنواع القرائن النحوية في القرائن النحوية , تمام حسان :24 .

[33] -التفسير الكبير , الرازي , 3/ 193 .

[34] - ماقالته د. عائشة عبد الرحمن بهذا الصدد في كتابيها , الإعجاز البياني للقرآن :25 , والتفسير البياني , 146 – 149 .

[35] - ينظر درجة الصفر , رولان بارت . 27

[36] -بنية اللغه الشعرية , جان كوهن , 42

فيه الانزياح ال أقصى درجة ويتوزع بينهما على مختلف أنماط اللغة المستعملة فعلياً وتقع القصيدة قرب الطرف الأقصى كما تقع لغة العام بدون شك قرب القطب الآخر وليس الإنزياح فيه منع ولكنه يدنو من الصفر وسنظفر في مثل هذه اللغة بأقرب نموذج لما يدعوه رولان بارت (درجة الصفر في الكتابة) وبهذه اللغة سنقارن القصيدة إذا ماكانافي حاجة الى ذلك)([37])

فما دام الانزياح (خرق لقانون اللغه) فهو لايفضي الى عقد اتفاق بين المتخاطبين بل شذ عن جادة اللسان مما يؤدي الى اختلاف في في التلقي فلا يمكن وصف الانزياح بالابانة ([38])

فقواعد اللسان الصوتية والصرفية والنحوية لايخرج عنها العرب حين يقول شعراً أو نثراً فاذا قدم أو أخر وذكر أو أنث أو صرح أو أضمر ونحو ذلك توجد اجازه أو قاعدة لسانية ولايمكن القول أن فعل المؤلف للقواعد النحوية وإنما في النحو قاعدتان للتقديم والتأخير وغير ذلك فلا عدول ولا انزياح والمؤلف هو الذي يرشح قاعدة ما والقاعدتان متساويتان داخل اللسان وكثرة استخدام أحدهما لاتمنحها قصب السبق على غيرها فيقاس العدول بالانحراف عنها وتطور المعاني واستحداثها لايتبعه استحداث قواعد جديدة بل يعبر عنها بالقواعد القديمة فشواهد البلاغيين تكشف عن مقارنة بين تراكيب تخلو من الجمال وقد تداولها الناس وأدركوا دلالتها وبين تراكيب معدلة عن الأولى وصفت أنها مجاز أو استعارة ([39]) فوصفوا الأولى بالرتابة والثانية بالإبتكار والجمالية ولهذا نشهد بين الحين والآخر جدل النقاد بأيهما أسبق الشعر أم النثر ([40]) والمسألة في أصلها جدل حول أولية طرق التعبير ولابد من القول بأن المعنى هو الذي يختار طريقه في الإفصاح عن نفسه وبعد ذلك يأتي التمييز على أساس الإيقاع والوزن وهذه مسألة لاتخص التركيب ([41]) يتضح مما سبق أن العدول وصف للنظم المخصوص والمتغير الاسلوبي لاصال المعنى ولتزيين الكلام وربما لكليهما معاً ويكثر في الشعر والسجع خاصة فعبد السلام المسدي يقول : (لعل قيمة مفهوم الانزياح في نظرية تحديد الاسلوب إعتماداً على مادة الخطاب تكمن انه يرمز الى صراع بين اللغة والانسان ... وما الانزياح سوى إحتيال الانسان على اللغه وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معاً) ([42]) فالقرآن الكريم مبين وجميل ولايشذ منه عن لسن العرب فهو ليس من جنس الشعر او السجع ولايجوز القول بالعدول لم يعدل عما تواضعت عليه العرب من حروفها والنطق بها على هيئاتها كما صرح عبد القاهر الجرجاني بقوله : (اذا علي باللفظ عما يوجبه اصل اللغه وصف بأنه مجاز على معنى انهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً) ([43]) متغافلين البنية المجردة للفظه التي بمقدورهم التنوع في سياقات مختلفة مع حفاظها على هويتها المعنوية .

الثابت والمتحول :

خوف العرب من ضياع الهوية / اللسان نتيجة التغير الحاصل في كل حقبة زمنية يراد لسان لوصف العقل الغربي بالمتغير والمتحرك والمتحول والجدلي لقد إستهوت فكرة الثابت والمتحول

بعض الادباء العرب وألفوا فيها كتباً ونسبوا للمتحول عناصر التقدمية والابداع وللثابت عنصر التأخر والتقليد ([44]) وقد سحرتهم مقولات الغرب الذين يعنون من عجمة في لسانهم وقد أصبحت بنية الانسان الغربي بنية عجمة واختلاف وتغير لم يكن مضبوطاً بقاعدة وإنما تغير عشوائي ولا قانون ضابط ولم يكن مبدعاً وغير محدد مما نتج عنه كثرة المدارس الأدبية

---

[37] - المصدر نفسه : 24 .

[38] - ينظر : مفاهيم الشعرية , حسن ناظم : 70 وما بعدها

[39] -ينظ اسرار البلاغة , عبد القاهر الجرجاني : 338 , وينظر : دلائل الاعجاز , عبد القاهر الجرجاني : 66 .

[40] - ينظر : رأي النقاد في مفهوم الشعر وعلاقته بالوزن والقافية عيار الشعر , ابن طباطبا العلوي : 154

[41] - ينظر : العمدة , ابن رشيق القيرواني : 1/ 20-22.

[42] - ينظر : الإسلوبية والاسلوب , عبد السلام المسدي : 122.

[43] - أسرار البلاغة , عبد القاهر الجرجاني , 365 ,

[44] - ينظر : الثابت والمتحول , ادونيس : 134 .

والفلسفات الهدامة المبنية على الحرية الشخصية ([45]) وهكذا إستمر النقاد العرب يفاضلون بين الأشعار والشعراء فضلاً عن ظهور دراسات تخصصت بركن لساني دون غيره كدراسة النحو عند سيبويه ودراسة المعجم عند الخليل وهكذا تنوعت الدراسات في تناولها لجوانب من اللسان دون غيره ولا توجد دراسة للسان العربي محيطة بجوانبه ذلك لأن اللسان لم يحظ انسان ولاعرف أسراره جميعاً ولكن جماع هذه الدراسات يوضح أكثر جوانب اللسان ابانه وتظل جوانب منه غامضة غموض الانسان ذاته لايعرفها الا الله تعالى .

ولكن مايثير الانتباه في كتب النقد القديمة هو التمييز بين شعراء البداهة والشعراء المحككين . ([46]) وتمييزهم قائم على وعي الحيازه اللسانية فشاعر البداهة كما وصفوه هو من يمتلك حيازة أو سليقة لسانية تؤهله لقول الشعر بسهولة بينما المحكك أقل حيازة لسانية ويبحث عن طرقة مثلى في التعبير وكذا القول يسري في وصفهم لجرير والفرزدق (جرير يغترف من البحر والفرزدق ينحت في الصخر) ([47])

المبحث الثالث : المنهج الوصفي والتاريخي

لقد أخذت دراسات فردينان دوسوسير اللسانية حيزاً كبيراً من عناية الباحثين عالمياً وقد كان الاهتمام منصباً حول محورين : الأول ثنائية اللغه والكلام والثاني في الدراسة الوصفية (التزامنية) والتاريخية (الزمنية) للسان وقد خصصنا لدوسوسور هذا الحيز من الدراسة نظراً للأهمية الكبيرة التي يوليها اللسانيون العرب له ([48])

وبناءً على التغير اللساني الذي لايمكن تجنبه يعلن دوسوسور عن علمين لدراسة اللسان الأول : تزامني وصفي والثاني تاريخي زمني والعلم الأول يتعامل مع حالة راهنة للسان ويعد مادة حقيقية للدراسة بوصفها بنية اتفاق بين الأفراد لعصر انحرافه عنلسان ثابت تحقيقاً لمبدأ التغير فيقول : (إن القانون السنكروني عام ولكن لايتعدى باللزوم مما لاشك فيه انه قد فرض على الأفراد عن طريق الاستعمال الجماعي ولكنني هنا لاافكر بالالتزام من جانب المتكلمين بل أعني إنه لاتوجد باللغة قوة تضمن الاحتفاظ بصفة قياسية أقيمت على نقطة معينه , فالقانون السنكروني إنما هو تغيير بسيط عن ترتيب يصف حاله معينه وهو يشبه بذلك قانوناً ينص على الأشجار في حديقة ما ترتيباً خماسياً والترتيب بصفة لهذا القانون غير مستقر لأنه غير ملزم يفتقر الى صفة اللزوم)([49])

فعلم (اللغة التزامني) يدرس اللسان في نقطة ما من التاريخ بوصفه لسان تلك الحقبة على الرغم من التغيير الحاصل في بنى الألفاظ والقواعد وهذا التحول الصوتي والذي يدرس تاريخياً في (علم اللغة التاريخي) يقول دوسوسور : (لايدرس علم اللغة الدايكروني العلاقات بين العناصر الموجودة في حالة لغوية العلاقات بين عناصر متعاقبة يحل كل منهما محل الآخر بمرور الزمن .

أن عدم التغيير المطلق لاوجود له – فكل جزء من اللغة يخضع للتغير ويعد لكل فترة شيء من التطور الملموس وقد يختلف التطور في سرعته وشدته ولكن هذا لايؤثر في صحة مبدأ التغيير فجدول اللغه يجري من دون انقطاع وسواء كان المجرى هادئاً أو هائجاً فذلك أمر ذو أهمية ثانوية)([50])

علم اللغة التاريخي لايعني تحديد هوية الألفاظ بل يضاف مراحل التغيير بصورة حيادية ليسجل للالفاظ هويات متعددة لذا يصرح دوسوسور أنه لايمكن فصل الدراسة الزمنية عن الدراسة التزامنية عن بعض ومن جهة أخرى لايستطيع أن يتحاشى الإنقطاع اللساني بين عصر وآخر فيعود للتفرقة بين الدراستين .

---

[45] - ينظر المذاهب الأدبية , د . جميل نصيف : 137 .

[46] -البيان والتبيين , الجاحظ , 204/1 .

[47] -دلائل الاعجاز , عبد القاهر الجرجاني : 566 .

[48] - علم اللغة العام , فردينان دي سوسور: 57

[4949] - ينظر : مقاربات دي سوسور بين لسان أمة قدماً وحديثاً أو مقارنته بين لسان ميت كاللاتينية ولسان حي كالفرنسية : 93

[50] - ينظر : علم اللغة العام , دوسوسور : 67 .

ومن نتئج مبدأ تغيير الالسنة لدى دوسوسور انه لايدرس (علم لغة الكلام) لأنه يعتمد على معاني النحو والذي لايمكن تناوله والوصول الى سر التراكيب وفروق المعاني الا في ضوء لسان ثابت وما دام اللسان متغيراً فأنه سيقصر دراسته على (علم اللغه) الذي يمكن ملاحظته ووصفه فيقول : (سيكون موضوع اهتمامي علم اللغة فقط (دون علم لغة الكلام) وإذا أستخدمت مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة فسأحاول أن أبقي على الخطوط التي تميز بين هذين العلمين) ([51])

والعربية بفضل القرآن لها خصائص على خلاف ماقاله دوسوسور , فثنائيته في اللغة والكلام التي إهتدت بها المدارس النقدية بعده كالشكلانية والتفكيكية كان يقصد بها السان بوصفه مخزوناً في الذاكرة لعصر من العصور على الرغم من التغيير الذي أصابها عما سبقها وتأسيساً على ذلك سيكون الكلام ويتضح هذا التصور في دراسته للغه زمنياً وتزامنياً دون الاهتداء بنصوص تتوفر على اللسان المبين والعربية لها وجة آخر فلسان العرب يمتلك الثبوت بفضل القرآن ونستطيع القياس عليه والاهتداء به منى تشاء ويمكن الجديث عن ثنائية اللغه والكلام بالنسبة للنص القرآني الثابت على نحو مافعله عبد القاهر الجرجاني في بحثه البلاغي . ([52])

والباقلاني بمقارنته بين نصوص تعود لسياقات متعددة وبين قاعدة اللسان الثابتة في القرآن ([53])

فاللسان العربي الوحيد الذي لايقبل التغيير بفضل القرآن وحتى قبل نزول القرآن فان العربية كانت تسعى حثيثاً نحو التوحد بإتجاه لسان العرب في القرآن فقد ذكر الله تعالى بشرى الرسالة والرسول على لسان عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى : (وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي أسمه أحمد)([54]) فالعربية في طو ر التوحد وحال نزول القرآن وصلت الى قمة التوحد والبيان يحث أن الآيات الأولى التي نزلت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبشر بها العرب كانت كافية للاقرار بأن القرآن لسانهم المبين تصديقاً لقول الله تعالى : (وهذا لسان عربي مبين) ([55])

الخاتمة :

توصلت في بحثي الموسوم بعنوان : (من خصائص اللسان العربي) أن لفظة اللسان وردت في القرآن في مواضع كثيرة وهذا واضح من خلال دراستي اللغة (البنية المعجمية) في المعاجم العربية وخاصة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ومعجم لسان العرب ونزول القرآن الكريم باللغه العربية من خلال دراستي البنية النحوية ومطابقة كلام العربية على ألفاظ القرآن في تمتعها بالفصاحة والبلاغة في الصورة والاستعارة والكناية وتوصلت كذلك الى أن القرآن معجز في كلماته المجردة والمحسوسة ودلالة ألفاظه ومعانيها النحوية والاعرابية كما تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وتناولت دلالة المصطلح ومنها مصطلح العدول والإنزياح ومنها الثابت والمتحول في بعض الدراسات لدى دي سوسور في علم اللغة وأدونيس في الثابت والمتحول وتناوت المناهج المستخدمة في الكتابة مثل المنهج الوصفي التزامني والمنهج التاريخي الزمني وفي الختام توصلت أن لكل ركن من أركان اللسان بنية مجره وبنية محسوسة وكل لفظه لها هوية معينة وتأليف أي معجم يعتمد على القرآن الكريم واللسان العربي ثابت من دون غيره ومدون والتأليف الابداعي فيها يمكن أن ينحرف أو ينزاح على ماسبقه واعجاز القرآن أنه لسان مبين وجميل ولا يشذ منه شيء عن لسان العرب وليس من جنس الشعر والسجع ووجود بعض التغيرات الزمانية والمكانية الطارئة يمكن عدها شذوذاً أو سياقات مرحلية زائلة .

---

[51]-علم اللغه العام , فردينان دوسوسور : 38 .

[52] - ينظر أسرار البلاغة , 145 وينظر : دلائل الاعجاز : 81 , عبد القاهر الجرجاني .

[53] - ينظر اعجاز القرآن , الباقلاني : 215-218.

[54] - سورة الصف : آية , 6 .

[55] - سورة النحل : آية : 103.

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها , جلال الدين عبد الرحمن السيوطي , شرحه محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي , مطبعة عيسى بأبي الحلبي وشركاؤه , مصر ,(د . ت), الطبعة الثانية .
- اللهجات العربية .,د. إبراهيم أنيس , دار فوزي للطباعة , القاهرة , 1984 , الطبعة السادسة .
- العين , أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي , تحقيق د. مهدي المخزومي , ود. إبراهيم السامرائي , مطابع الرسالة , الكويت , 1980 .
- لسان العرب , جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور , دار صادر , بيروت , 1955
- اللغة العربية معناها ومبناها ,د. تمام حسان , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1973 ,
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة , د. غالب فاضل المطلبي , دار الحرية للطباعة , بغداد 1978 .
- أسرار البلاغة , عبد القاهر الجرجاني , تحقيق ه. ريتر , مطبعة وزارة المعارف , استانبول , 1954 .
- الاسلوبية والاسلوب . عبد السلام المسدي , مطبعة , , الاتحاد العام التونسي , تونس , 1977 .
- الاصول دراسة إبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب , د. تمام حسان , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد 1988.
- اعجاز القرآن , أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني , تحقيق السيد احمد صقر , دار المعارف , مصر , القاهرة , الطبعة الثالثة 1972 .
- الاعجاز البياني للقرآن , د. عائشة عبد الرحمن , دار المعارف , مصر , 1971 .
- الثابت والمتحول , بحث في الاتباع والابداع عند العرب , أدونيس , دار العودة , بيروت , (ب, ت) , بيروت .
- البيان والتبيين , أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ , تحقيق عبد السلام هارون , دار التأليف , مصر , الطبعة الثالثة , 1968 .
- تهذيب اللغة , أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري , تحقيق عبد السلام هارون , دار القومية العربية , القاهرة , 1964 .
- الصحاح و تاج اللغة وصحاح العربية , اسماعيل بن حماد الجوهري , تحقيق أحمد عبد الغفور , دار العلم للملايين , الطبعة الرابعة , بيروت 1977 .
- المذاهب الأدبية , د. جميل نصيف التكريتي , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد ,الطبعة الأولى , 1990 .
- الكتاب , أبو بشر بن عثمان بن قنبر , تحقيق عبد السلام هارون , الهيئة المصرية العامة , القاهرة , الطبعة الثانية 1977.
- القرائن النحوية , د. تمام حسان , مجلة اللسان العربي , المجلد الحادي عشر , الجزء الأول , 1974 .
- بنية اللغة الشعرية , جان كوهن , ترجمة محمد الولي ومحمد العمري , دار توبقال , الدار البيضاء , الطبعة الأولى 1986 .

- درجة الصفر للكتابة , رولان بارت , ترجمة محمد برادة , دار الطليعة , بيروت الطبعة الأولى 1981 . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده , ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , دار الجيل , بيروت , الطبعة الرابعة 1972 .
- عيار الشعر , محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي , تحقيق ,محمد زغلول سلام , مطبعة التقدم , الاسكندرية 1977 .
- مفاهيم الشعر و حسن ناظم , رسالة ماجستير مطبوعة غلى الآله الكاتبة , جامعة بغداد , كلية الآداب 1982 .